دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 36، العدد 2، 2009

منهج القرآن الكريم في النهي عن اتباع الهوى

جهاد محمد فيصل النصيرات*

ملخص

ينهى القرآن الكريم عن اتباع الهوى في مواضع كثيرة منه، ويلحظ أن هذا النهي يأتي وفق منهجيةٍ ربانيةٍ تستحق البحث وإنعام النظر؛ ولما كان الهوى مرضاً عضالاً يؤذن بخراب العمران واضمحلال الحضارات فقد جاءت هذه الدراسة كي تكشف عن بعض معالم هذا المنهج المميز للقرآن الكريم في النهي عن اتباع الهوى، عبر مطالب متنوعة تسبر أغوار هذا المنهج وتبين تأثيره في إصلاح القلوب وصفاء النفوس واستقرار المجتمعات.

الكلمات الدالة: اتباع، هوى، نفس.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته إلى يوم الدين وبعد؛

فإن الهوى داء فتّاك يصيب القلب والعقل والنفس، ويعطل مدارك الفكر، ونوافذ المعرفة، ويجعل من علاجها بعد ذلك أمراً صعباً. يقول الماوردي –رحمه الله-: "وأما الهوى فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوكاً"(1).

وقد عزا ابن الجوزي –رحمه الله- أسباب تراخي العمل إلى ثلاثةٍ جعل أولاها: رؤية الهوى العاجل، فإن رؤيته –كما يقول- "تشغل عن الفكر فيما يجنيه"(2).

والهوى من أشد المعوقات لتقدم الإسلام وقوته، لأن هذا الداء ينمو في داخل النفس البشرية ولا يبرز للخارج إلا بعد أن يكون قد أنهك صاحبه وسيطر عليه؛ فسلطانه قوي، وحيلة صاحبه أمامه واهيةٌ، خاصةً أنّه متعدد الألوان مختلف المراحل، لهذا نجد أن القرآن الكريم قد عني بهذا الموضوع في آيات كثيرة تناولت معالمه وأبعاده لاسيما وأن الأمة الإسلامية عاشت عبر تاريخها الطويل وحتى وقتها الحاضر أخطاره وآثاره. فكم قوض هوى النفس من حضارة شامخة وجعلها عبرة للمعتبرين.

ولابد هنا من تقرير أنه بالرغم من أهمية هذا الموضوع ودوره في حياة الأمم والحضارات، فإنني لم أقع على دراسة علمية مؤصلة تتناول هذا الموضوع بدراسة قرآنية منهجية موضوعية سليمة ،من حيث تتبع هذه المفردة في القرآن الكريم، واستنطاق آياته للوقوف على معالم موقف القرآن من هذا الموضوع وبيان منهجه في عرضه والنهي عنه.

من هنا تظهر أهمية هذه الدراسة وهي تتناول بالدرس العميق هذا الموضوع القرآني، وتقدم تصوراً صحيحاً عن معالم هذا المنهج من خلال استقراءٍ تامٍ لمواضع ورود هذا الموضوع في القرآن الكريم أولاً، ثم الاستعانة بالسنة النبوية الشريفة الثابتة فيما يزيل إبهاماً أو يبين مجملاً، فاستقر لدى الباحث معالم بارزة لهذا المنهج القرآني في النهي عن اتباع الهوى من خلال المطالب التالية:

المقدمة: عرضت فيها أهمية هذا الموضوع ومبرراته.
المطلب الأول: مفردة (الهوى) في القرآن الكريم مدلولاً ووروداً.
المطلب الثاني: الأسباب الدافعة لظهور الهوى.
المطلب الثالث: مظاهر اتباع الهوى كما يصورها القرآن الكريم.
المطلب الرابع: الآثار والأضرار المترتبة على اتباع الهوى.
المطلب الخامس: منهج القرآن الكريم في الوقاية من الهوى وعلاجه.
الخاتمة: وسأعرض فيها أهم النتائج والتوصيات.

هذا والحمد لله من قبل ومن بعد.

---

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2007/10/23، وتاريخ قبوله 2008/11/17.

© 2009 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

المطلب الأول: مفردة (الهوى) في القرآن الكريم مدلولاً ووروداً

يقول صاحب (معجم مقاييس اللغة): "الهاء والواو والياء: أصل صحيح يدل على خلوٍ وسقوط، وأما الهوى: هوى النفس، فمن المعنيين جميعاً لأنه خالٍ من كل خيرٍ ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي"(3). وجاء عند صاحب (اللسان): "الهواء، ممدود: الجو ما بين السماء والأرض، والجمع الأهوية، وكل فارغٍ هواء، والهواء: كل فرجة بين شيئين كما بين أسفل البيت إلى أعلاه،

وهوى يهوي هويانا، ورأيتهم يتهاوون في المهواة إذا سقط بعضهم في إثر بعض. وهوى يهوي هوياً وهوياناً وانهوى: سقط من فوق إلى أسفل. والهوى، مقصور: هوى النفس، وقال ابن سيده: الهوى: العشق يكون في مداخل الخير والشر. وهوى النفس: إرادتها، والجمع الأهواء. قال اللغويون: الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبتُه على قلبه. قال تعالى: {وأَما من خَافَ مقَام ربهِ ونَهى النفْس عن الْهوى} النازعات، الآية ٤٠، معناه نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل"(4).

وبعد هذا العرض الموجز يتبين لنا ان مدارات هذه المادة (هوى) تدل على الخلو والفراغ الذي يكون به السقوط والتردي سواء أكان هذا السقوط والخلو حسياً مادياً أم معنوياً معقولاً.

أما عن تعريف هذه المفردة اصطلاحاً، فقد جاء عند الراغب: "الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، وقيل في سبب تسميته بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى كل هاوية. والهوى سقوط من علوٍ إلى سفلٍ. وقوله عز وجل: { فَأُمه هاوِيةٌ} القارعة، آية ٩، قيل هو مثل قولهم هوت ُأمه أي ثَكلَت، وقيل معناه: مقره النار، والهاوية هي النار"(5).

ويلحظ هنا في تعريف الراغب للهوى تلك الصلة بين المعنيين:اللغوي والاصطلاحي، فميل النفس إلى الشهوة هو سقوطٌ وخلو من الإيمان ومن ثَم سقوطٌ في قعر جهنم –والعياذ بالله-.

ولم يشر الإمام الراغب إلى أن هذا الميل النفسي قد يكون محموداً أو مذموماً –كما أشار أصحاب المعاجم اللغوية- وذلك لعدم ورود هذا اللفظ بالمعنى المحمود في القرآن الكريم. يقول ابن الجوزي: "الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، ولما كان الغالب من موافق الهوى أنه لا يقف منه على حد المستنفع، أطلق ذم الهوى والشهوات، لعموم غلبته الضرر"(6). ويقول السمين الحلبي: "وقد غلب الهوى على الميل المذموم، وقال بعضهم: هو على الإطلاق مذموم، ثم يضاف إلى ما لا يذم، فيقال: هواي مع صاحب الحق: أي: ميلي"(7).

ونجد في سنة الحبيب- صلى الله عليه وسلم- إطلاق هذه اللفظة على المعنى المحمود لأنها جاءت مسندةً إلى شخص النبي- صلى الله عليه وسلم- من زوجه أم المؤمنين عائشة، وذلك لفرط غيرتها على النبي- صلى الله عليه وسلم- في أمر اللائي وهبن أنفسهن للرسول- صلى الله عليه وسلم-، فقالت له: "ما رأيتُ ربك إلا يسارع في هواك"(8). فدلّ ذلك على أن السياق هو المحكم دائماً في مدلولات الكلمة واستعمالاتها.

أما عن ورود هذه اللفظة في القرآن الكريم، فقد جاءت بصيغها واشتقاقاتها المختلفة نحو (38) مرة. جاءت في سبعة مواضع منها على المعنى اللغوي (السقوط والخواء) في خمس سور مكية هي: إبراهيم، طه، الحج، النجم والقارعة. والآيات هي: قوله تعالى: { ربنَا إِني أَسكَنتُ مِن ذُريتِي بِوادٍ غَير ذِي زرعٍ عِنْد بيتِك الْمحرمِ ربنَا لِيقِيموا الصلاةَ فَاجعلْ أَفْئِدةً مِن الناسِ تَهوِي إِلَيهِم وارزقْهم مِن الثمراتِ لَعلهم يشْكُرون} إبراهيم، الآية 37، وقوله: {مهطِعِين مقْنِعِي رءوسِهِم لا يرتَد إِلَيهِم طَرفُهم وأَفْئِدتُهم هواء} إبراهيم، الآية 43 أي خالية. وقوله {ومن يحلِلْ علَيهِ غَضبِي فَقَد هوى} طه، الآية 81، وقوله {كُلُوا مِن طَيباتِ ما رزقْنَاكُم ولا تَطْغَوا فِيهِ فَيحِل علَيكُم غَضبِي ومن يحلِلْ علَيهِ غَضبِي فَقَد هوى} طه، الآية 81، {حنَفَاء لِلهِ غَير مشْرِكِين بِهِ ومن يشْرِك بِاللهِ فَكَأَنما خَر مِن السماءِ فَتَخْطَفُه الطير أَو تَهوِي بِهِ الريح فِي مكَانٍ سحِيقٍ} الحج، الآية 31، وقوله: {والنجمِ إِذَا هوى} النجم الآية 1، وقوله: {والْمؤْتَفِكَةَ أَهوى} النجم 53، وقوله: {فَأُمه هاوِيةٌ} القارعة، الآية 9.

وجاءت هذه المفردة أيضاً بمعناها مدار البحث في (31) موضعا من القرآن الكريم، في السور المكية والمدنية على حدٍ سواء(9). وأكثر مجيء لها كان في سورتي المائدة والأنعام حيث وردت هذه اللفظة أربع مرات في كل سورة منهما.

ويلحظ على اشتقاقات هذه المفردة أن أكثر مجيئها كان

اسماً، وجاءت بصيغة الفعل في أربعة مواضع في القرآن الكريم(10).

إن مجيء هذه المفردة بهذه الصيغ والاشتقاقات المتنوعة، يدل دلالةً واضحةً على عناية القرآن الكريم بموضوع الهوى؛ نظراً لما له من أهميةٍ بارزةٍ في الحكم على الأفعال والتصرفات بمعيار الشرع، وبذلك يظهر لنا هذا المعلم الأول من منهج القرآن الكريم في النهي عن اتباع الهوى وهو: التنويع في عرض الصيغ والاشتقاقات لهذه الكلمة في القرآن المكي والمدني على حدٍ سواء، وذلك لما لهذا الموضوع من دورٍ بارزٍ في حياة الأمم والأفراد وفي قيام الحضارات أو اضمحلالها.

المطلب الثاني: الأسباب الدافعة لظهور الهوى

من المعالم البارزة لمنهج القرآن الكريم في النهي عن اتباع الهوى أن يذكر لنا- بطريقٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ- الأسباب المهيئة لنشوئه والمساعدة على ديمومته، وذلك من أجل أن نعالج هذه الأسباب ونقضي على البيئة المهيئة لها؛ فإن تحديد سبب الداء يعين على العلم بالدواء دون الاقتصار على علاج الأعراض الخارجية وترك العوامل الداخلية الحقيقية التي ينشأ منها هوى النفس. ومن أهم هذه الأسباب التي ينشأ منها اتباع الهوى كما نفهمها من نصوص القرآن الكريم:

1.الجهل

الجهل نقيض العلم، وهو مرض عضال قد يصيب الفرد ويعطل أدواته المعدة للاستقبال فلا تعود قادرة على نقل الحقائق كما هي، وتحليلها التحليل الصحيح، ولهذا الجهل صور متعددة، يقول عنها الراغب: "والجهل على ثلاثة أضرب:

الأول: خلو النفس من العلم، هذا هو الأصل

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء أكان اعتقاده صحيحاً أم فاسداً كمن يترك الصلاة متعمداً"(11).

لقد قرن القرآن الكريم في مواضع عديدة منه بين اتباع الهوى وبين الجهل –الذي هو ترك العلم- اقتران السبب بالمسبب، من ذلك قوله تعالى للحبيب صلى الله عليه وسلم: {ولَن تَرضى عنْكَ اليهود ولا النصارى حتى تَتبِع مِلتَهم قُلْ إِن هدى اللهِ هو الْهدى ولَئِن اتبعتَ أَهواءهم بعد الَذِي جاءك مِن الْعِلْمِ ما لَك مِن اللهِ مِن ولِي ولا نَصِيرٍ} البقرة، الآية 120، وبعدها بآيات: {ولَئِن أَتَيتَ الَذِين أُوتُوا الْكِتَاب بِكُلِ آيةٍ ما تَبِعوا قِبلَتَك وما أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبلَتَهم وما بعضهم بِتَابِعٍ قِبلَةَ بعضٍ ولَئِن اتبعتَ أَهواءهم مِن بعدِ ما جاءك مِن الْعِلْمِ إِنَك إِذاً لَمِن الظَالِمِين} البقرة، الآية 145، وكذلك في الرعد {وكَذَلِك أَنزلْنَاه حكْماً عربِياً ولَئِن اتبعتَ أَهواءهم بعدما جاءك مِن الْعِلْمِ ما لَك مِن اللهِ مِن ولِي ولا واقٍ} الرعد، الآية 37، وعن الظالمين قال: {بلْ اتبع الَذِين ظَلَموا أَهواءهم بِغَيرِ عِلْمٍ فَمن يهدِي من أَضَل الله وما لَهم مِن نَاصِرِين} الروم، الآية 29، وعن كثير من الناس قال: {وإِن كَثِيراً لَيضِلُون بِأَهوائِهِم بِغَيرِ عِلْمٍ إِن ربك هو أَعلَم بِالْمعتَدِين} الأنعام، الآية 119. وقد نهى الله تعالى عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون فقال: {ثُم جعلْنَاك علَى شَرِيعةٍ مِن الأَمرِ فَاتَبِعها ولا تَتَبِع أَهواء الَذِين لا يعلَمون} الجاثية، الآية 18.

وذكر قيد العلم في هذه الآيات لا يدل- قطعاً- على أن هناك هوى بعلمٍ وهوى بغير علمٍ، فالهدى والهوى لا يلتقيان، ولكن القرآن الكريم يقرر في هذه المواضع أن الهوى لا يمكن أن يكون ناشئاً عن علمٍ، بل إن خلو النفس من العلم هو المهيئ لنشوء هوى النفس المتبع. والعلم هو ما قرره الوحي الإلهي ولا يدرك إلا بالبراهين الصحيحة. يقول الزمخشري: "قوله (بعد الَذِي جاءك مِن الْعِلْمِ) البقرة، الآية 120: أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة"(12).

وخلو النفس من العلم يعني اتصافها بالجهل، فالجهل يؤدي إلى اتباع الهوى، واتباع الهوى يؤدي إلى السقوط في مستنقعات المعاصي ومن ثم التردي في جهنم. يقول شيخ الإسلام: "وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل، وإلا فلو كان عالماً علماً نافعاً بأن فعل هذا يضره ضرراً راجحاً لم يفعله، فإن هذا خاصية العاقل، والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل"(13).

2. أمراض القلب

قرر القرآن الكريم بوضوح- في مواضع كثيرة منه- أن القلب هو مناط صلاح الإنسان أو فساده، وأنه السبب في إدخال صاحبه الجنّة أو النار، وذلك في مثل قوله: {لا يؤَاخِذُكُم الله بِاللَغْوِ فِي أَيمانِكُم ولَكِن يؤَاخِذُكُم بِما كَسبتْ قُلُوبكُم والله غَفُور حلِيم} البقرة، الآية 225، وقوله: {ولا تَكْتُموا الشهادةَ ومن يكْتُمها فَإِنَه آثِم قَلْبه والله بِما تَعملُون

عَلِيم} البقرة، الآية 283، حيث أسند فيها الإثم إلى القلب وقوله {فَلَولا إِذْ جاءهم بَأْسنَا تَضرعوا ولَكِن قَستْ قُلُوبهم وزين لَهم الشيطَان ما كانُوا يعملُون} الأنعام، الآية 43، وقوله {ولَيس علَيكُم جنَاح فِيما أَخْطَأْتُم بِهِ ولَكِن ما تَعمدتْ قُلُوبكُم وكَان الله غَفُوراً رحِيماً} الأحزاب، الآية 5.

وحدثنا القرآن الكريم حديثا مطنبا عن أنواع القلوب وعن أمراضها بما يؤكد تماما أن القلب هو الملك الحقيقي لأعضاء الإنسان، أو العقل الداخلي المدبر بالنسبة إليه، ولذلك أسند إليه القرآن وظائف الأعضاء الأخرى فقال تعالى: {أَفَلَم يسِيروا فِي الأَرضِ فَتَكُون لَهم قُلُوب يعقِلُون بِها أَو آذَان يسمعون بِها فَإِنها لا تَعمى الأَبصار ولَكِن تَعمى الْقُلُوب الَّتِي فِي الصدورِ} الحج، الآية 46.

وأكد القرآن الكريم كذلك أن أمراض القلب المختلفة قد تؤدي إلى اتباع الهوى المذموم، وذلك في مواضع عديدة منها قوله تعالى: {ولَقَد آتَينَا موسى الْكِتَاب وقَفَّينَا مِن بعدِهِ بِالرسل وآتَينَا عِيسى ابن مريم الْبينَاتِ وأَيدنَاه بِروحِ الْقُدسِ أَفَكُلَّما جاءكُم رسولٌ بِما لا تَهوى أَنفُسكُم استَكْبرتُم فَفَرِيقاً كَذَّبتُم وفَرِيقاً تَقْتُلُون (87) وقَالُوا قُلُوبنَا غُلْفٌ بل لَّعنَهم الله بِكُفْرِهِم فَقَلِيلاً ما يؤْمِنُون} البقرة، الآيتان 87-88.

فقد تذرع بنو إسرائيل أن سبب أفعالهم المشينة، من قتل واستكبار واتباع هوى نفس:قلوبهم المغلفة المغلقة عن سماع الهدى، فالقلب المغلف المريض هو مظنة الوقوع في الهوى ومخاطره، فوسم القرآن فعلهم هذا بأنه كفر بالله وجحود به، ولذلك استحقوا اللعن والطرد من رحمة الله، ونجد هذا المعنى واضحا تماما في سورة الجاثية، حيث ارتبط الختم على القلب باتباع الهوى ارتباط السبب بالنتيجة في قوله: {أَفَرأَيتَ من اتَّخَذَ إِلَهه هواه وأَضلَّه الله علَى عِلْمٍ وخَتَم علَى سمعِهِ وقَلْبِهِ وجعلَ علَى بصرِهِ غِشَاوةً فَمن يهدِيهِ مِن بعدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرون} الجاثية، الآية 23.

ونجد مثل هذا الربط بين الطبع على القلوب واتباع الهوى في سورة محمد في قوله تعالى: {ومِنْهم من يستَمِع إِلَيك حتَّى إِذَا خَرجوا مِن عِنْدِك قَالُوا لِلَّذِين أُوتُوا الْعِلْم ماذَا قَالَ آنِفاً أُولَئِك الَّذِين طَبع الله علَى قُلُوبِهِم واتَّبعوا أَهواءهم} محمد، الآية 16.

3. إيثار الدنيا والغفلة عن الآخرة

إن حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، والغفلة عن يوم الحساب هو أصل الفساد كله، لأن من شأن هذا التعلق المفرط أن ينسى الإنسان ربه، وهو المدخل للكثير من الآثام، وهو المسبب للقلق والأرق والضنك الذي يعانيه الناس. ولذلك حذر الإسلام (كتاباً وسنةً) من هذا الداء العضال؛ لأنه يؤدي إلى التنافس والتنازع في الدنيا والتقاعس عن الجهاد. نجد هذا جلياً في مثل تنكب آيات الله وانسلخ عنها وأخلد إلى الأرض، يقول تعالى: {واتْلُ علَيهِم نَبأَ الَّذِي آتَينَاه آياتِنَا فَانسلَخَ مِنْها فَأَتْبعه الشيطَان فَكَان مِن الْغَاوِين (175) ولَو شِئْنَا لَرفَعنَاه بِها ولَكِنه أَخْلَد إِلَى الأَرضِ واتَّبع هواه فَمثَلُه كَمثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحمِلْ علَيهِ يلْهثْ أَو تَتْركْه يلْهثْ ذَلِك مثَلُ الْقَومِ الَّذِين كَذَّبوا بِآياتِنَا فَاقْصصِ الْقَصص لَعلَّهم يتَفَكَّرون} الأعراف، الآية 175-176. يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "قوله (ولَو شِئْنَا لَرفَعنَاه بِها) أي: ولو أردنا ان نرفعه بتلك الآيات إلى درجات الكمال والعرفان، التي تقرن فيها العلوم بالأعمال، لفعلنا بأن نخلق له الهداية خلقاً، ونحمله عليها طوعاً أو كرهاً، فإن ذلك لا يعجزنا، وإنما هو مخالف لسننا، (ولَكِنه أَخْلَد إِلَى الأَرضِ واتبع هواه) أي ولكنه اختار لنفسه التسفل المنافي لتلك الرفعة بأن أخلد ومال إلى الأرض وجعل كل لحظة من حياته التمتع بما فيها من اللذات الجسدية، فلم يرفع إلى العالم العلوي رأساً، ولم يوجه إلى الحياة الروحية الخالدة عزماً، واتبع هواه في ذلك فلم يراع فيه الاهتداء بشيءٍ مما آتيناه من آياتنا"(14).

وفي سورة الكهف نجد هذا التوجيه للحبيب- صلى الله عليه وسلم- بأن لا يطيع الغافلين عن ذكر الله ؛فإن الغفلة تؤدي إلى اتباع الهوى. يقول تعالى: {ولا تُطِع من أَغْفَلْنَا قَلْبه عن ذِكْرِنَا واتَّبع هواه وكَان أَمره فُرطاً} الكهف، الآية 28. يقول الشيخ أبو السعود تعقيباً على هذه الآية: "فإن الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي إلى اتباع الهوى المؤدي إلى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب"(15).

4. موالاة من نهى الله عن موالاتهم والتعصب الأعمى

لقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يعطوا ولاءهم ومحبتهم للشيطان وأتباعه، من الكافرين والمنافقين والفاسقين والمستهزئين واليهود والنصارى، وأمر الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الولاية لله وللرسول وللمؤمنين. وكذلك نهاهم أيضاً عن أن يطيعوا كثيراً من الأصناف التي خرجت عن دين الله، بل إنه بين لهم أن لا يغتروا برأي الغالبية والأكثرية من الناس، فقد يكونون على باطل فقال: {وإِن كَثِيراً لَيضِلُّون

بِأهوائِهم بِغَير عِلْمٍ إن ربك هو أَعلَم بِالمعتَدِين} الأنعام، الآية 119. وقال: {وإن تُطِع أَكْثَر من فِي الأَرض يضِلوك عن سبِيل اللهِ إِن يتبِعون إِلا الظن وإِن هم إِلا يخْرصون} الأنعام، الآية 116. ولهذا فالولاء والبراء ينبغي أن يكونا لله لا لغيره، ومن هنا فقد نهى الله سبحانه وتعالى في مواضع كثيرةٍ عن اتباع أهواء صنوفٍ عديدةٍ من الناس لما لأهوائهم الفاسدة من تأثيرٍ على نفوس المؤمنين وحياتهم. فقد نهى سبحانه وتعالى عن اتباع أهواء أهل الكتاب من اليهود والنصارى وذلك في مواضع منها: قوله: {ولَن تَرضى عنْك الْيهود ولا النصارى حتى تَتبِع مِلتَهم قُلْ إِن هدى اللهِ هو الْهدى ولَئِن اتبعتَ أَهواءهم بعد الَذِي جاءك مِن الْعِلْمِ ما لَك مِن اللهِ مِن ولِي ولا نَصِيرٍ} البقرة، الآية 120. وقوله: {ولَئِن أَتَيتَ الَذِين أُوتُوا الْكِتَاب بِكُلِّ آيةٍ ما تَبِعوا قِبلَتَك وما أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبلَتَهم وما بعضهم بِتَابِعٍ قِبلَةَ بعضٍ ولَئِن اتبعتَ أَهواءهم مِن بعدِ ما جاءك مِن الْعِلْمِ إِنك إِذاً لَمِن الظالِمِين} البقرة، الآية 145. ونهى عن اتباع أهواء الكافرين في قوله: {وأَنزلْنَا إِلَيك الْكِتَاب بِالْحق مصدقاً لِما بين يديهِ مِن الْكِتَابِ ومهيمِناً علَيهِ فَاحكُم بينَهم بِما أَنزلَ الله ولا تَتبِع أَهواءهم عما جاءك مِن الْحق لِكُلٍّ جعلْنَا مِنْكُم شِرعةً ومِنْهاجاً ولَو شَاء الله لَجعلَكُم أُمةً واحِدةً ولَكِن لِيبلُوكُم فِي ما آتَاكُم فَاستَبِقُوا الْخَيراتِ إِلَى اللهِ مرجِعكُم جمِيعاً فَينَبئُكُم بِما كُنتُم فِيهِ تَخْتَلِفُون (48) وأَن احكُم بينَهم بِما أَنزلَ الله ولا تَتبِع أَهواءهم واحذَرهم أَن يفْتِنُوك عن بعضِ ما أَنزلَ الله إِلَيك فَإِن تَولوا فَاعلَم أَنما يرِيد الله أَن يصِيبهم بِبعضِ ذُنُوبِهِم وإِن كَثِيراً مِن الناسِ لَفَاسِقُون} المائدة، الآيتان 48-49. وقوله: {قُلْ إِني نُهِيتُ أَن أَعبد الَذِين تَدعون مِن دونِ اللهِ قُلْ لا أَتبِع أَهواءكُم قَد ضَلَلْتُ إِذاً وما أَنَا مِن الْمهتَدِين} الأنعام، الآية 56. ونهى عن اتباع أهواء المكذبين في قوله: {ولا تَتبِع أَهواء الَذِين كَذبوا بِآياتِنَا والَذِين لا يؤْمِنُون بِالآخِرةِ وهم بِربهِم يعدِلُون} الأنعام، الآية 150. ونهى عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون: {ولا تَتبِع أَهواء الَذِين لا يعلَمون} الجاثية، الآية 18.

يقول الأستاذ سيد قطب: "إنها شريعة واحدة هي التي تستحق هذا الوصف، وما عداها أهواء منبعها الجهل، وعلى صاحب الدعوة ان يتبع الشريعة وحدها، ويدع الأهواء كلها، وعليه ألا ينحرف عن شيءٍ من الشريعة إلى شيءٍ من الأهواء، فأصحاب هذه الأهواء أعجز من أن يغنوا عنه من الله صاحب الشريعة. وهم إلب عليه فبعضهم ولي لبعض، وهم يتساندون فيما بينهم ضد صاحب الشريعة فلا يجوز أن يأمل في بعضهم نصرة له أو جنوحاً عن الهوى الذي يربط بينهم برباطه، ولكنهم أضعف من أن يؤذوه والله ولي المتقين"(16).

إن الولاء ينبغي أن يخضع لمقياس الشرع لا لأهواء النفوس، فإن أُعطي هذا الولاء لغير المستحقين عند ذلك تلتقي الأهواء ويتبع بعضها بعضاً لما فيها من التقاءٍ على مصالح دنيوية زائلةٍ وقيمٍ زائفةٍ بعيداً عن الحق والصواب. وهكذا أراد الله تعالى للمؤمنين أن تكون ولاءاتهم في الله وبالتالي يضمحل هوى النفس ولا ينهض لكي يواجه هدى رب العالمين.

المطلب الثالث: مظاهر اتباع الهوى كما يصورها القرآن الكريم:

إن للهوى أشكالاً ومظاهر عديدة، هي بمثابة الأعراض بالنسبة للأمراض العضوية التي تصيب الجسد. وهذه المظاهر أو الأعراض تعطي المؤشر على وجود مرض (الهوى) في النفس البشرية وعطل في عمل العقل أو القلب فتظهر هذه الأعراض، ومرض الهوى هو من أشرس الأمراض وأفتكها؛ لأنه السبب في ظهور الأمراض الأخرى في حياة الأفراد والأمم. ولذلك نجد أن القرآن الكريم قد ذكر لنا بعض هذه المظاهر حتى تجد عندنا العلاج الوقائي المناعي قبل العلاج الشفائي، إذ إن الوقاية دوماً خير من العلاج. وهذه المظاهر أو الأعراض قد تتشابه أحياناً وتتداخل أحياناً أخرى بين مرض وآخر، فهي متنوعة وعديدة، فقد تكون في حب المال أو الجاه أو السلطة أو النساء، وقد تكون في الاستئثار بالرأي، وقد تكون أعراضاً اجتماعيةً أو سياسيةً أو اقتصاديةً أو أخلاقيةً أو ثقافيةً وغيرها، و تنطلق هذه الأعراض وتتمادى دونما علاج حتى يصبح الهوى هو الإله المتبع من دون الله –والعياذ بالله-.

ومن هذه المظاهر التي ذكرها القرآن الكريم لاتباع الهوى والتي يندرج تحتها الكثير من المظاهر- وذلك على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر والقصر-، فإن معرفة بعضها يعين على معرفة بعضها الآخر:

1. اقتراف الكبائر والذنوب

إن المظهر الأبرز من مظاهر اتباع الهوى الآثم أن يؤدي

باتباعه إلى اقتراف الذنوب والمعاصي على اختلاف أنواعها، فكل مرتكب لمعصية –دونما إكراهٍ أو خطأ أو نسيانٍ- إنّما هو متبع لهوى في نفسه، وقد صور لنا القرآن الكريم هذا الأمر خير تصوير فيما قصه علينا من نبأ بني إسرائيل في جحودهم وكفرهم بالله وبأنبيائه، وحدثنا عن تاريخهم الطويل في محاربة دين الله عز وجل، وكفران النعم، واقترافهم لأكبر الكبائر، وكل ذلك لاتباعهم أهواءهم –التي نهى الله تعالى نبيه عن اتباعها في أكثر من موضع-، منها قوله تعالى: {ولَقَد آتَينَا موسى الْكِتَاب وقَفينَا مِن بعدِهِ بِالرسل وآتَينَا عِيسى ابن مريم الْبينَاتِ وأَيدنَاه بِروحِ الْقُدسِ أَفَكُلما جاءكُم رسولٌ بِما لا تَهوى أَنفُسكُم استَكْبرتُم فَفَرِيقاً كَذَّبتُم وفَرِيقاً تَقْتُلُون} البقرة، الآية 87، وقوله عنهم في المائدة {لَقَد أَخَذْنَا مِيثَاقَ بنِي إِسرائِيلَ وأَرسلْنَا إِلَيهِم رسلاً كُلما جاءهم رسولٌ بِما لا تَهوى أَنفُسهم فَرِيقاً كَذَّبوا وفَرِيقاً يقْتُلُون} المائدة، الآية 70.

فاتباعهم لأهوائهم القبيحة أوجد عندهم الاستكبار الذي بدوره تولد عنه التكذيب والقتل وبقية الكبائر. والقرآن الكريم يقص علينا تاريخ بني إسرائيل وأسباب جحودهم حتى لا نقع فيما وقعوا فيه من نكرانٍ للنعم، وحتى لا نهادنهم أو نواليهم أو نتبع أهواءهم المفضوحة التي كشف سترها القرآن الكريم.

ثم نجد في سنة الحبيب- صلى الله عليه وسلم- ما يؤكد أن ارتكاب الآثام والمعاصي إنّما هو ترجمةٌ فعليةٌ وتصديقٌ لهوى النفس الآثم، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطى، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه(17). فالحديث الصحيح نص في أن الهوى القلبي هو المسبب للزنا- المجازي أو الحقيقي-، وقوله- صلى الله عليه وسلم-: ويصدق ذلك الفرج ويكذبه، يدل على أن ارتكاب هذا الزنا الحقيقي هو تصديقٌ لهذا الزنا القلبي ومظهر له، وأن عدم اقترافه لهذه الفِعلة الشنيعة هو مخالفةٌ لهذا الهوى وتكذيب له.

2. اختلال القيم والمعايير واضطرابها في الحكم على الأشياء

إن من شأن اتباع الهوى أن يقلب القيم والموازيين في الحكم على الأشياء، لأن هذا الهوى المتبع لا يستند إلى براهين وحججٍ عقلية، وإنّما هو اتباع بغير علمٍ من أجل مرضاة نفسٍ مريضةٍ وتطلعاتٍ أرضيةٍ ضحلةٍ من شهواتٍ وملذاتٍ لا تلبث أن يعقبها الندم الأليم. وقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا قوامين لله بالقسط وأن لا يحملهم الهوى على قلب الحقائق وغمط الحقوق، فقال: {يا أَيها الَّذِين آمنُوا كُونُوا قَوامِين بِالْقِسطِ شُهداء لِلَّهِ ولَو علَى أَنفُسِكُم أَوِ الْوالِدينِ والأَقْربِين إِن يكُن غَنِياً أَو فَقِيراً فَاللّه أَولَى بِهِما فَلا تَتَّبِعوا الْهوى أَن تَعدِلُوا وإِن تَلْووا أَو تُعرِضوا فَإِن اللّه كَان بِما تَعملُون خَبِيراً} النساء، الآية 135. فالله تعالى يوصي المؤمنين أن يكونوا مبالغين في إقامة العدل والقسط في الأمور جميعها، وأن يكون ذلك كلّه لوجه الله تعالى حتى لو كانت الشهادة على أنفسهم أو أقرب الناس إليهم، إن كان المشهود عليه غنياً فلا يمتنع من الشهادة عليه لغناه، أوفقيراً فلا تمنع ترحماً وإشفاقاً عليه. والله تعالى أرحم بهما منهم. ثم نهاهم الله سبحانه وتعالى عن اتباع الهوى عند العدل بين الناس وذلك كما يقول أبو حيان: "تنبيهاً أن اتباع الهوى وتحري العدالة متنافيان لا يجتمعان"(18). ولأن اتباع الهوى – كما يقول أبو السعود أيضاً-: "من مظان الجور الذي حقّه أن يخاف ويحذر"(19). وقد أوصى الله تعالى المؤمنين أن يعدلوا حتى مع أعدائهم فقال: {يا أَيها الَّذِين آمنُوا كُونُوا قَوامِين لِلَّهِ شُهداء بِالْقِسطِ ولا يجرِمنَّكُم شَنَآن قَومٍ علَى أَلا تَعدِلُوا اعدِلُوا هو أَقْرب لِلتَّقْوى واتَّقُوا اللَّه إِن اللَّه خَبِير بِما تَعملُون} المائدة، الآية 8. وفي وصية الله تعالى لنبيه داود- عليه السلام- نجد هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: {يا داوود إِنَّا جعلْنَاك خَلِيفَةً فِي الأَرضِ فَاحكُم بين النَّاسِ بِالْحق ولا تَتَّبِعِ الْهوى فَيضِلَّك عن سبِيلِ اللَّهِ إِن الَّذِين يضِلُّون عن سبِيلِ اللَّهِ لَهم عذَاب شَدِيد بِما نَسوا يوم الْحِسابِ} ص، الآية 26. حيث أوصى الله تعالى نبيه أن يقيم الحق في الحكومات والمنازعات بين الناس وأن لا يتبع الهوى لأن ذلك يؤدي –كما يقول الرازي-: "إلى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق، وذلك يفضي بالآخرة إلى هلاك ذلك الملك"(20).

3. الحيرة والقلق والاضطراب

لقد صور لنا القرآن الكريم هذه الحالات التي يعانيها أصحاب الأهواء المتبعة، وهم يعانون هذه الأمراض النفسية التي برزت على تصرفاتهم وهيئاتهم الخارجية، وذلك نتيجة هذا الصراع الداخلي الذي يعانونه بين تطلعاتٍ إلى السماء

ونزعاتٍ إلى الأرض، فهم في حيرةٍ ما بعدها حيرة، وفي قلقٍ وهمٍ دائبين. وهذه لازمةٌ حتميةٌ لضعف الإيمان في نفوسهم، بحيث أصبحوا فريسةً سانحةً لوساوس الشيطان وانفلاتات الغرائز. فقد عرض علينا القرآن الكريم مشهداً حياً لذاك الذي يعاني حالتي الحيرة والقلق بعد أن أشرك بالله وارتد من الإيمان للكفر في قوله تعالى:{قُلْ أَنَدعو مِن دون اللهِ ما لا ينفَعنَا ولا يضرنَا ونُرد على أَعقَابِنَا بعد إِذْ هدانَا الله كَالذِي استَهوتْه الشياطِين فِي الأرضِ حيران لَه أَصحاب يدعونَه إِلَى الْهدى ائْتِنَا قُلْ إِن هدى اللهِ هو الْهدى وأُمِرنَا لِنُسلِم لِرب الْعالَمِين} الأنعام، الآية 71، وقوله (استهوته الشياطين) يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "استهوته الشياطين في الأرض هو الذي أضلته بوسوستها وحملته على اتباع هواه، فاتخذ دينه لعباً ولهواً وغرته الحياة الدنيا فآثرها على الآخرةلإنكاره إياها أو عدم إيمانه بوعد الله ووعيده فيها"(21).

و(حيران) كما يقول السمين الحلبي: "حالٌ إما من هاء (استهوته) على أنها بدل من الأولى، وإما من (الذي)، وإما من الضمير المستكن في الظرف (في الأرض)"(22). والتحير -كما يقول الراغب-: "هو التبلد في الأمر والتردد فيه"(23). ويصور الأستاذ سيد قطب هذه الحالة من الحيرة في هذا المثل بقوله: "إنّه العذاب النفسي يرتسم ويتحرك، حتى ليكاد يحس ويلمس من خلال التعبير، ولقد كنت أتصور هذا المشهد وما يفيض به من عذاب الحيرة والتأرجح والقلقلة كلما قرأت هذا النص، ولكن مجرد تصور، حتى رأيت حالات حقيقية يتمثل فيها هذا الموقف، ويفيض منها هذا العذاب، حالات ناس عرفوا دين الله وذاقوه -أياً كانت درجة هذه المعرفة وهذا التذوق- ثم ارتدوا عنه إلى عبادة الآلهة الزائفة، تحت قهر الخوف والطمع، ثم إذا هم في مثل هذا البؤس المرير، وعندئذٍ عرفت ماذا تعني هذه الحالة، وماذا يعني هذا التعبير"(24).

وقد صور لنا القرآن الكريم مثلاً آخر لوصف أعراض حالة الذي يتبع هواه وينسلخ من آيات الله -الذي سبق الحديث عنه في آيتي سورة الأعراف- وهو-كما يقول سيد-: "مثلٌ للعلم الذي لا يعصم صاحبه أن تثقل به شهواته ورغباته فيخلد إلى الأرض لا ينطلق من ثقلتها وجاذبيتها، وأن يتبع هواه فيتبعه الشيطان ويلزمه ويقوده من خطام هذا الهوى، إنه مثلٌ لكل من آتاه الله من علم الله، فلم ينتفع بهذا العلم، ولم يستقم على طريق الإيمان، وانسلخ من نعمة الله، ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان، ولينتهي إلى المسخ في مرتبة الحيوان"(25).

وبعيداً عن الروايات المضطربة التي لم يعبأ بها القرآن وليس في النص القرآني ما يؤيد بعضها، نجد هذا الخط المعياري للتاريخ وهذه السنة الإلهية الثابتة فيمن حاد عن دين الله واتخذ العلم وسيلةً لخدمة الذات اتباعاً للهوى وإخلاداً إلى الأرض، ثم نجد هذه الصورة (فَمثَلُه كَمثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحمِلْ علَيهِ يلْهثْ أَو تَتْرُكْه يلْهث)، يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "وهذا الرجل صفته كصفة الكلب في حالته هذه وهي أخس أحواله وأقبحها، والمراد -والله أعلم- أنّه كان من إخلاده إلى الأرض واتباع هواه في أسوأ حال خلافاً لما كان ينبغي من نعمة العيش وراحة البال، فهو في همٍ دائمٍ مما شأنه أن يهتم به، وما شأنه أن لا يهتم به من صغائر الأمور وخسائس الشهوات، كدأب عباد الأهواء وصغار الهمم، تراهم كاللاهث من الإعياء والتعب، وإن كان ما يعنون به ويحملون همه حقيراً لا يتعب ولا يعيي ولا ترى أحداً منهم راضياً بما أصابه من شهواته وأهوائه بل يزيد طمعاً وتعباً كلما أصاب سعةً وقضى أرباً:

فما قضى أحد منها لبانته
ولا انتهى أَرب إلا إلى أَربِ"(26).

ويعقب الأستاذ سيد على هذا المثل : "ثم ما هذا اللهاث الذي لا ينقطع؟ إنّه -في حسنا كما توحيه إيقاعات النبأ وتصوير مشاهده في القرآن- ذاك اللهاث وراء أعراض هذه الحياة الدنيا التي من أجلها ينسلخ الذين يؤتيهم الله آياته فينسلخون منها، ذاك اللهاث القلق الذي لا يطمئن أبداً، والذي لا يتركه صاحبه سواء وعظته أم لم تعظه، فهو منطلقٌ فيه أبداً! .. فهو مثلٌ لا ينقطع وروده ووجوده، وما هو بمحصور في قصةٍ وقعت في جيلٍ من الزمان"(27).

المطلب الرابع: الآثار والأضرار المترتبة على اتباع الهوى

أشار القرآن الكريم في عدة مواضع إلى خطر الهوى وضرره على الفرد والمجتمع، إذ إن اتباع الهوى هو أصلٌ لكثيرٍ من المفاسد والأضرار، ومن منهج القرآن الكريم الواضح في هذا المضمار: أن يذكر الآثار الرئيسة التي تترتب على اتباع الهوى وأضراره في شتى شؤون الحياة ومناحيها. ومن هذه الآثار:

1. الضلال والإعراض عن دين الله عز وجل

إن اتباع الهوى يؤدي إلى الضلال وتنكب شريعة الله،

وإن من شأن هذا الوحي الإلهي أن يرفع الإنسان عن نوازع الأرض ومتعلقاتها. ولقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة مراتٍ عديدةٍ بسياقاتٍ وعباراتٍ متنوعةٍ، نجد هذا في مثل قوله تعالى: {وأَنزلْنَا إِلَيك الْكِتَاب بِالْحق مصدقاً لِما بين يديهِ مِن الْكِتَابِ ومهيمِناً علَيهِ فَاحكُم بينهم بِما أَنزلَ الله ولا تَتبِع أَهواءهم عما جاءك مِن الْحق لِكُلٍّ جعلْنَا مِنْكُم شِرعةً ومِنْهاجاً ولَو شَاء الله لَجعلَكُم أُمةً واحِدةً ولَكِن لِيبلُوكُم فِي ما آتَاكُم فَاستَبِقُوا الْخَيراتِ إِلَى اللهِ مرجِعكُم جمِيعاً فَينَبئُكُم بِما كُنتُم فِيهِ تَخْتَلِفُون (48) وأَن احكُم بينهم بِما أَنزلَ الله ولا تَتبِع أَهواءهم واحذَرهم أَن يفْتِنُوك عن بعضِ ما أَنزلَ الله إِلَيك فَإِن تَولَّوا فَاعلَم أَنما يرِيد الله أَن يصِيبهم بِبعضِ ذُنُوبِهِم وإِن كَثِيراً مِن الناسِ لَفَاسِقُون} الآيتان، 48-49، وفي نبأ الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ما يؤكد ما تقدم وذلك في قوله تعالى: {ولَو شِئْنَا لَرفَعنَاه بِها ولَكِنه أَخْلَد إِلَى الأَرضِ واتبع هواه} الآية 176. فهو مثلٌ ساقه الله تعالى لكل من تنكب طريق الهدى واتبع الهوى. يقول الإمام الرازي: "قوله (واتبع هواه) معناه: أنّه اعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى، فلا جرم وقع في هاوية الردى، وهذه الآية من أشد الآيات على أصحاب العلم، وذلك لأنه تعالى بعد أن خص هذا الرجل بآياته وبيناته لما اتبع الهوى انسلخ من الدين وصار في درجة الكلاب، وذلك يدل على أن كل من كانت نعم الله في حقه أكثر، فإذا أعرض عن متابعة الهدى وأقبل على متابعة الهوى، كان بعده عن الله أعظم"(28). وقد بين سبحانه في مواضع أخرى أن اتباع الهوى دون الهدى هو من أضل الضلال.

وذلك كقوله تعالى: {قُلْ إِني نُهِيتُ أَن أَعبد الَّذِين تَدعون مِن دونِ اللهِ قُلْ لا أَتبِع أَهواءكُم قَد ضلَلْتُ إِذاً وما أَنَا مِن الْمهتَدِين} الأنعام، الآية 56. وقوله: {وإِن كَثِيراً لَيضِلُّون بِأَهوائِهِم بِغَيرِ عِلْمٍ} الأنعام، الآية 119. وقوله: {فَإِن لَم يستَجِيبوا لَك فَاعلَم أَنما يتبِعون أَهواءهم ومن أَضلُّ مِمن اتبع هواه بِغَيرِ هدى مِن اللهِ إِن الله لا يهدِي الْقَوم الظَّالِمِين} الآية 50. وقوله: {يا داوود إِنا جعلْنَاك خَلِيفَةً فِي الأَرضِ فَاحكُم بين الناسِ بِالْحق ولا تَتبِعِ الْهوى فَيضِلَّك عن سبِيلِ اللهِ} ص، الآية 26. وقوله: {أَفَرأَيتَ من اتخَذَ إِلَهه هواه وأَضلَّه الله علَى عِلْمٍ وخَتَم علَى سمعِهِ وقَلْبِهِ وجعلَ علَى بصرِهِ غِشَاوةً فَمن يهدِيهِ مِن بعدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرون} الجاثية، الآية 23. وقوله: {والنجمِ إِذَا هوى (1) ما ضلَّ صاحِبكُم وما غَوى (2) وما ينْطِقُ عن الْهوى (3) إِن هو إِلا وحي يوحى} النجم، الآيات 1-4.

والضلال –كما يقول الراغب-: "العدول عن الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً، ولذلك نُسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار وإن كان بين الضلالين بون بعيد"(29).

إن الضلال نتيجة حتمية لاتباع الهوى، لأن اتباع الهوى يفقد الإنسان القدرة على ضبط التصرفات، وبالتالي يوقعه في الزلل. ويبين الرازي هذه العلاقة الإقترانية اللزومية بين اتباع الهوى والضلال في مقامين اثنين فيقول: "متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله، والضلال عن سبيل الله يوجب العذاب، فينتج إن متابعة الهوى توجب سوء العذاب.

أما المقام الأول: وهو أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله ،فتقريره أن الهوى يدعو إلى الاستغراق في اللذات الجسمانية، والاستغراق فيها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية، التي هي الباقيات الصالحات، لأنهما حالتان متضادتان فبقدر ما تزداد احداهما تنقص الأخرى.

أما المقام الثاني: وهو أن الضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب، فالأمر فيه ظاهر لأن الإنسان إذا عظم إلفه بهذه الجسمانيات ونسي بالكلية أحواله الروحانية، فإذا مات فقد فارق المحبوب والمعشوق، ودخل دياراً ليس له بأهل تلك الديار إلف وليس لعيشه قوة مطالعة أنوار تلك الديار، فكأنه فارق المحبوب ووصل إلى المكروه، فكان لا محالة في أعظم العناء والبلاء، فثبت أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله، وثبت أن الضلال عن سبيل الله يوجب العذاب، وهذا بيان في غاية الكمال"(30).

إن من أشد أوضاع الضلال المتولد عن اتباع الهوى أن يكون في ميادين الحكم والقضاء بين الناس وسياسة أمورهم سواء أكان هذا الهوى اختيارياً أم قسرياً، لأنه يتعلق برعاية أمور الخلق والعدل بينهم، فإذا اتبع الحاكم أو القاضي هواه، فقد ضاعت حقوق الخلق،ولذلك أوصى الله نبيه داود -عليه السلام-:{فاحكُم بين الناسِ بِالْحق ولا تَتبِعِ الْهوى فَيضِلَّك عن سبِيلِ اللهِ إِن الَّذِين يضِلُّون عن سبِيلِ اللهِ} ص، الآية 26. يقول ابن عاشور: "والنهي عن اتباع الهوى تحذير له وإيقاظٌ ليحذر من جراء الهوى ويتهم نفسه ويتعقبه فلا ينقاد إليه إلا بعد التأمل والتثبت، ولهذا جعل هنا الضلال عن سبيل الله مسبباً عن اتباع الهوى، وهو تسبب أغلبي عرفي، فشبه

الهوى بسائرٍ في طريقٍ مهلكةٍ على طريقة المكنية (الاستعارة المكنية هي التي يحذف فيها المشبه به ويترك شيء من لوازمه) ورمز إليه بلازم ذلك وهو الإضلال عن طريق الرشاد المعبر عنه بسبيل الله، فإن الذي يتبع سائراً غير عارفٍ بطريق المنازل النافعة لا يلبث أن يجد نفسه وإياه في مهلكةٍ أو مقطعة طريق. واتباع الهوى قد يكون اختياراً وقد يكون كرهاً، والنهي عن اتباعه يقتضي النهي عن جميع أنواعه، فأما الاتباع الاختياري فالحذر منه ظاهر، وأما الاتباع الإضطراري فالتخلص منه بالانسحاب عما جره إلى الإكراه، ولذلك اشترط العلماء في الخليفة شروطاً كلها تحوم حول الحيلولة بينه وبين اتباع الهوى وما يوازيه من الوقوع في الباطل"(31).

2. الوقوع في الظلم

والظلم –كما يقول الراغب- هو: "وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصانٍ أو بزيادةٍ، وإما بعدول عن وقته أو مكانه. والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يقل وفيما يكثر من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير"(32).

وقد أكد القرآن الكريم في مواضع عديدةٍ أن الظلم هو الأساس الذي انبثقت عنه المفاسد والشرور الأخرى في مثل قوله تعالى: {والْكَافِرون هم الظالِمون} البقرة، الآية 254. وقوله على لسان لقمان: {إن الشرك لَظُلْم عظِيم} لقمان، الآية 13، وعن المنافقين قال: {ولَو أَنهم إِذْ ظَلَموا أَنفُسهم جاءوك فَاستَغْفَروا الله واستَغْفَر لَهم الرسولُ لَوجدوا الله تَواباً رحِيماً} النساء، الآية 64. وعلى هذا فإن جميع المعاصي والذنوب داخلةٌ في دائرة الظلم الكبيرة، فالظلم هو الشجرة الخبيثة التي تتفرع منها المعاصي الكبيرة والصغيرة على حدٍ سواء. ومن هنا بين القرآن الكريم أن اتباع الهوى يؤدي إلى الوقوع في الظلم لا محالة، وذلك في معرض الحديث عن تحويل القبلة وما جرى بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود من حديث، فقال تعالى لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-: {ولَئِن أَتَيتَ الَّذِين أُوتُوا الْكِتَاب بِكُلِّ آيةٍ ما تَبِعوا قِبلَتَك وما أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبلَتَهم وما بعضهم بِتَابِعٍ قِبلَةَ بعضٍ ولَئِن اتبعت أَهواءهم مِن بعدِ ما جاءك مِن الْعِلْمِ إِنك إِذاً لَمِن الظالِمِين} البقرة، الآية 145. يقول الشيخ أبو السعود: "وفيه لطفٌ للسامعين وتحذير لهم من متابعة الهوى فإن من ليس من شأنه ذلك إذا نُهي عنه ورتب على فرض وقوعها ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك؟ وقد بولغ في التأكيد من وجوه تعظيماً للحق المعلوم وتحريضاً على اقتفائه وتحذيراً عن متابعة الهوى واستعظاماً لصدور الذنب من الأنبياء عليهم السلام"(33).

ووصف الله سبحانه وتعالى ذلك الذي اتّبع هواه وأخلد إلى الأرض بأنّه من الظالمين لأنفسهم وذلك في قوله تعالى: {ساء مثَلاً الْقَوم الَّذِين كَذَّبوا بِآياتِنَا وأَنفُسهم كَانُوا يظْلِمون} الأعراف، الآية 177. ووصفهم الله بالظلم في قوله: {فَإِن لَم يستَجِيبوا لَك فَاعلَم أَنما يتَّبِعون أَهواءهم ومن أَضلُّ مِمنِ اتبع هواه بِغَيرِ هدى مِن اللَّهِ إِن الله لا يهدِي الْقَوم الظالِمِين} القصص، الآية 50. وبين سبحانه وتعالى أن اتباع الهوى يؤدي إلى الوقوع في الظلم لقوله تعالى: {بلْ اتبع الَّذِين ظَلَموا أَهواءهم بِغَيرِ عِلْمٍ فَمن يهدِي من أَضلَّ الله وما لَهم مِن نَاصِرِين} الروم، الآية 29. وجاء وصف أصحاب الأهواء المتبعة بالظلم صريحاً في قوله تعالى: {ثُم جعلْنَاك علَى شَرِيعةٍ مِن الأمرِ فَاتبِعها ولا تَتبِع أَهواء الَّذِين لا يعلَمون (18) إِنهم لَن يغْنُوا عنك مِن اللَّهِ شَيئاً وإِن الظالِمِين بعضهم أَولِياء بعضٍ والله ولِي الْمتقِين} الجاثية، الآيتان 18-19. فالهوى الذي لا يستند إلى عقلٍ أو تفكيرٍ والذي لا ضابط له ولا مقياس، هو الذي أوقع على متبعيه وصف الظلم، فالهوى سبب لظلمهم وظلمهم سبب في ضلالهم المؤدي لا محالة إلى انقطاع الولاية والنصرة عنهم من الله.

3.الفساد العام في كل الأمور

بين الحق سبحانه وتعالى أن اتباع الهوى يؤدي إلى الفساد المادي والمعنوي في قوله: {ولَو اتبع الْحق أَهواءهم لَفَسدتْ السمواتُ والأرض ومن فِيهِن بلْ أَتَينَاهم بِذِكْرِهِم فَهم عن ذِكْرِهِم معرِضون} المؤمنون، الآية 71.

وقد أوجز شيخ المفسرين معنى هذه الآية بقوله: "يقول تعالى ذكره: ولو علم الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن، وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفساد، فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحق لم تقر السماوات والأرض ومن فيهن من خلق الله، لأن ذلك قام بالحق. وبنحو الذي قلنا

في ذلك قال أهل التأويل"(34). وهنا يحلو للمرء أن يتساءل عن سر هذا الربط والاقتران الشرطي بين فساد النفوس وفساد النواميس الكونية العامة فيما لو اتبع الحق أهواءهم الزائفة، فيجيب الشيخ ابن عاشور: "ووجه الملازمة بين فساد السماوات والأرض وفساد الناس وبين كون الحق جارياً على أهواء المشركين في الحقائق هو أن أهواءهم شتى؛ فمنها المتفق وأكثرها مختلف، وأكثر اتفاق أهوائهم حاصلٌ بالشرك، فلو كان الحق الثابت في الواقع موافقاً لمزاعمهم لاختلت أصول انتظام العوالم"(35).

4.اختلال الموازين في الحكم على الأشياء

أشار سبحانه وتعالى في موضعين من كتابه إلى أن الهوى قد يصبح إلهاً يعبد من دون الله، وذلك عندما يتمادى هذا الهوى بصاحبه، ويصبح هو المقياس والمعيار الوحيد في التصرفات الصادرة كلها، فعند ذلك يتمرد على صاحبه ويصبح عبداً له. يقول تعالى: {أَرأَيتَ من اتخَذَ إِلَهه هواه أَفَأَنْتَ تَكُون علَيهِ وكِيلاً} الفرقان، الآية 43. ويقول: {أَفَرأَيتَ من اتخَذَ إِلَهه هواه وأَضله الله علَى عِلْمٍ وختَم علَى سمعِهِ وقَلْبِهِ وجعلَ علَى بصرِهِ غِشَاوةً فَمن يهدِيهِ مِن بعدِ اللهِ أَفَلا تَذَكرون} الجاثية، الآية 23.

وتصور هاتان الآيتان حالةً مزريةً لبعض النفوس التي تمردت على المعايير والقيم والموازين السماوية وأصبحت عبيداً لهوى النفس المتجردة من كل الضوابط، فاتبعت الشهوات واللذات العاجلة حتى أصبح الهوى إلهاً من دون الله. يقول شيخ المفسرين عند قوله تعالى: (أَفَرأَيتَ من اتخَذَ إِلَهه هواه): "اختلف أهل التأويل في تأويلها، فقال بعضهم: معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم، ولا يحل ما أحل، إنّما دينه ما هويته نفسه يعمل به، فعن قتادة: قال: لا يهوى شيئاً إلا ركبه، لا يخاف الله. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادتَه نفسه من شيء. فعن سعيد قال: كانت قريش تعبد العزى –وهو حجر أبيض- حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر فأنزل الله الآية. وأولى التأويلين في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوي من شيءٍ دون إله الحق الذي له الألوهة من كل شيء لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره"(36).

ونحن وإن كنا نكن كل الإجلال والتقدير لابن جرير الطبري –رحمه الله- ونقدر له ما رجح لكننا نرى أن التأويل الذي بدأ به هو الأولى، وهو الذي ينضوي تحته التأويل الثاني، فإن الهوى إن أصبح هو الدين المتبع الذي لا يرى شيئاً إلا ركبه فعند ذلك يكون المعبود هو الهوى الساقط الذي يتردى أمام الحق الثابت. يقول الزمخشري: "أي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه، فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه"(37).

5.الفرط والتردي

بين سبحانه وتعالى أن اتباع الهوى يؤدي إلى التردي والضياع والإسراف في المعاصي، فقال: {ولا تُطِع من أَغْفَلْنَا قَلْبه عن ذِكْرِنَا واتبع هواه وكَان أَمره فُرطاً} الكهف، الآية 28. يقول الراغب: "والإفراط أن يسرف في التقدم، والتفريط أن يقصر في الفَرط. وقوله: (وكَان أَمره فُرطًا)أي إسرافاً وتضييعاً"(38). والآية جاءت في سياق الوصية للنبي- صلى الله عليه وسلم- بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وهي تنهى عن اتباع أهواء المشركين واختلال مقاييسهم في الحكم على الناس والأشياء ونظرهم القائم على الكبر والغرور، وتصور حالهم بأنه (فُرطاً) بكل ما لهذه الكلمة من ظلالٍ ودلالات، مما يؤكد أن هذا التفريط لازم لاتباع الهوى المذموم. يقول الشيخ ابن عطية: "و (الفُرط) يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع، أي أمره الذي يجب أن يلتزم، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف، أي أمره وهواه الذي هو بسبيله، وقد فسر المتأولون بالعبارتين، أعني، التضييع والإسراف"(39).

وفي موضع آخر في ذكر قصة سيدنا موسى- عليه السلام- مع فرعون نجد قوله تعالى: {إِننِي أَنَا الله لا إِلَه إِلا أَنَا فَاعبدنِي وأَقِم الصلاةَ لِذِكْرِي (14) إِن الساعةَ آَتِيةٌ أَكَاد أُخْفِيها لِتُجزى كُل نَفْسٍ بِما تَسعى (15) فَلا يصدنك عنْها من لا يؤْمِن بِها واتبع هواه فَتَردى} طه، الآيات 14-16. فهذه الآية الأخيرة صريحة في أن اتباع الهوى يؤدي إلى التردي والهلاك سواء أكان هذا التردي دنيوياً أم أخروياً، فإن من شأن هذا التردي والخسران أن يفقد الإنسان ولاية الله ونصرته في الدنيا، حيث يقول تعالى: {إِنا أَرسلْنَاك بِالْحق بشِيراً ونَذِيراً ولا تُسأَلُ عن أَصحابِ الْجحِيمِ (119) ولَن

تَرضى عنْكَ الْيهود ولا النصارى حتى تَتبِع مِلَتَهم قُلْ إِن هدى اللهِ هو الْهدى ولَئِن اتبعتَ أَهواءهم بعد الَذِي جاءك مِن الْعِلْمِ ما لَك مِن اللهِ مِن ولِي ولا نَصِيرٍ} البقرة، الآيتان 119-120. وقال: {وكَذَلِك أَنزلْنَاه حكْماً عربِياً ولَئِن اتبعتَ أَهواءهم بعدما جاءك مِن الْعِلْمِ ما لَك مِن اللهِ مِن ولِي ولا واقٍ} الرعد، الآية 37.

واتباع الهوى يؤدي في نهاية المطاف إلى ولوج النار لا محالة، وذلك هو الخسران المبين لقوله تعالى: {فَأَما من طَغَى (37) وآثَر الْحياةَ الدنْيا (38) فَإِن الْجحِيم هِي الْمأْوى (39) وأَما من خَافَ مقَام ربهِ ونَهى النفْس عن الْهوى (40) فَإِن الْجنةَ هِي الْمأْوى} النازعات، الآيات 37-41. فأما من أتْبع نفسه هواها فهو في النار لا محالة.

المطلب الخامس: منهج القرآن الكريم في الوقاية من اتباع الهوى وعلاجه

أولاً: منهج القرآن الكريم في العلاج الوقائي لاتباع الهوى

الهوى –كما تقدم- داء خطير على الأفراد والجماعات والحضارات، وقد تبدأ أعراضه بظهور بعض الضعف أو الفتور عن الطاعات، ثم يتطور الأمر فتتشكل طبقة رقيقةمن التكلسات على القلب، ثم في مراحل متقدمة قد يصاب القلب بالضمور والأمراض المزمنة التي تؤدي إلى موته في النهاية. ولذلك لا بد من الوقاية قبل العلاج، فعلاج المرض في البداية أهون بكثيرٍ من علاجه بعد أن يستشري في الجسم ويشتد خطره، والأمراض الاجتماعية والإنسانية كالأمراض العضوية تماماً. يقول الأستاذ محمد أحمد الراشد: "وسبب الهوى وسخٌ يكون في القلب من طمع وحسد وانتصار للنفس يحجب الرؤية أو يشوشها كالذي ينظر من وراء زجاجة سوداء أو يضاف إلى ذلك: ضعف عين الهاوي فتكون مقلته شوساء متقاربة الأجفان، ضيقة المجال فتزداد صورة الحق الشرعي عنده غبشاً ولا تتكامل، فجراثيم تلك الأوساخ تغزو المقلة الشوساء فتلتهب إذا لم تعالج. كما أن تلك الجراثيم تكثر في نفس القلب حتى يقف نبضه فيكون الهوى ناقضاً لحيوية البداية النابضة"(40).

وهنالك بعض المسالك أو الطرق التي سلكها القرآن الكريم في حفظ الفرد والأمة من كل ما يبعدهم عن ربهم ويجعلهم أُسارى لأهوائهم {ونُنَزلُ مِن الْقُرآنِ ما هو شِفَاء ورحمةٌ لِلْمؤْمِنِين ولا يزِيد الظَالِمِين إِلا خَساراً} الإسراء، الآية 28. وهذه المسالك تحمي شخصية الفرد من التبعية العمياء للأهواء الزائفة. وقد ذكر ابن الجوزي طرائق سبعاً لمجاهدة الهوى تصلح أن تكون أساليب وقائية تمنع من اتباع الهوى المذموم وهي –كما يراها- "التفكر في أن الإنسان لم يخلق للهوى، وإنّما للنظر في العواقب والعمل للآجل. وأن يتفكر في عواقب الهوى، وأن يتصور العاقل إنقضاء غرضه من هواه، ثم يتصور الأذى الحاصل عقيب اللذة، وأن يتصور ذلك في حق غيره ثم يتلمح عاقبته بفكره، وان يتفكر فيما يطلبه من اللذات وأن يتدبر عز الغلبة وذل القهر، وأن يتفكر في فائدة المخالفة للهوى من اكتساب الذكر الجميل في الدنيا وسلامة النفس والعرض والأجر في الآخرة"(41).

وقد تتعدد الآراء في تحديد طرق الوقاية من الهوى أو جهاد النفس فيه، لكنّه لا بد من التقرير هنا أن طرق الوقاية القرآنية من اتباع الهوى هي ذاتها طرق معالجة أسبابه- التي تقدمت- فالجهل علاجه العلم والإعراض علاجه الإقبال والاستقامة، وموالاة العصاة والكافرين يقابلها موالاة الله ورسوله والمؤمنين، وإيثار الدنيا يقابلها الإقبال على الآخرة، وهكذا نجد أن القرآن يؤكد هذه القضايا ويقررها.

فمن الطرائق التي سلكها القرآن في الوقاية من اتباع الهوى:

1.استشعار عظمة الله سبحانه وتعالى والتخويف من عذابه (أسلوبا الترغيب والترهيب)

فقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يقيموا الشهادة لله وحذرهم من اتباع الهوى، وأعلمهم بأنه خبير بأحوالهم وذلك في قوله: {يا أَيها الَذِين آمنُوا كُونُوا قَوامِين بِالْقِسطِ شُهداء لِلهِ ولَو علَى أَنفُسِكُم أَوِ الْوالِدينِ والأَقْربِين إِن يكُن غَنِياً أَو فَقِيراً فَاللَه أَولَى بِهِما فَلا تَتبِعوا الْهوى أَن تَعدِلُوا وإِن تَلْووا أَو تُعرِضوا فَإِن اللَه كَان بِما تَعملُون خَبِيراً} النساء، الآية 135. يقول الأستاذ سيد: "والهوى صنوف شتى ذكر منها بعضها، حب الذات هوى، وحب الأهل والأقربين هوى، والعطف على الفقير في موطن الشهادة والحكم هوى، ومجاملة الغنى هوى، والتعصب للعشيرة والقبيلة والأمة والدولة والوطن في موضع الشهادة والحكم هوى، وأهواء شتى الصنوف والألوان كلها مما ينهى الله الذين آمنوا عن التأثر بها والعدول عن الحق والصدق تحت تأثيرها. وأخيراً يجيء التهديد والإنذار والوعيد من تحريف الشهادة والإعراض عن هذا التوجيه فيها {وإِن تَلْووا

أَو تُعرِضوا فَإِن اللَّه كَان بِما تَعملُون خَبِيرا}. ويكفي أن يتذكر المؤمن أن الله خبير بما يعمل ليستشعر ماذا وراء هذا من تهديد خطير، يرتجف له كيانه"(42).

وفي سورة النازعات نجد قوله تعالى: {وأَما من خَافَ مقَام ربهِ ونَهى النفْس عن الْهوى (40) فَإِن الْجنةَ هِي الْمأْوى} النازعات، الآيات 40-41. فالخوف من مقام الله عز وجل واستشعار عظمته يروع هذه النفس عن هواها وضلالها. يقول الإمام الرازي: "ولما كان الخوف من الله هو السبب المعين لدفع الهوى لا جرم قدم العلة على المعلول"(43).

2.العلم بأحوال النفس وما يصلح شأنها

العلم علاج وقائي فاعل من الوقوع في اتباع الهوى المذموم، فلقد تقدم في مطلب أسباب الهوى أن الجهل هو أحد الأسباب الرئيسة الدافعة لاتباع الهوى، ويقابله في علاجه العلم الصحيح القائم على البراهين والأدلة، فالهوى ظن والعلم يقين، وهذا ما نجده صريحاً في كثيرٍ من الآيات التي تناولت لفظة الهوى، ففي قصة تحويل القبلة جاء قوله تعالى: {ولَئِن أَتَيتَ الذِين أُوتُوا الكِتَاب بِكُل آيةٍ ما تَبِعوا قِبلَتَك وما أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبلَتَهم وما بعضهم بِتَابِعٍ قِبلَةَ بعضٍ ولَئِن اتبعتَ أَهواءهم مِن بعدِ ما جاءك مِن الْعِلْمِ إِنك إِذاً لَمِن الظالِمِين} البقرة، الآية 145. يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "هذا إيماء إلى اتباع العلماء أهواء العامة بعد ما جاءهم من العلم وما نزل عليهم في الكتاب من الوعيد عليه، ولو شرح شارح اتباعهم لأهواء السلاطين والأمراء والوجهاء والأغنياء، وكيف يفتنونهم ويؤلفون الكتب لهم، ويخترعون الأحكام والحيل الشرعية لأجلهم، وكيف حرموا على الأمة العمل بالكتاب والسنة، ولزموها كتبهم _لظهر لقارئ الشرح كيف أضاع هؤلاء الناس (دينهم) فسلّط الله عليهم من لم يكن له عليهم سبيل، ولبان له وجه التشديد في الآية بتوجيه الوعيد فيها إلى النبي المعصوم المشهود له بالخلق العظيم، فلا يكبرن عليك أن تحكم على من يسمون أنفسهم أو يسميهم الحكام كبار العلماء بأنهم من الظالمين إذا اتبعوا أهواء العامة أو شهوات الأمراء والسلاطين"(44). ولقد ضرب الله لنا مثلاً فيما تقدم من قصة ذلك الذي انسلخ من آيات الله فكان من الغاوين، وعاب الله تعالى على المشركين اتباعهم الظّن والوهم دون العلم القائم على الوحي وذلك بقوله: {إِن هِي إِلا أَسماء سميتُموها أَنْتُم وآباؤُكُم ما أَنزلَ الله بِها مِن سلْطَانٍ إِن يتبِعون إِلا الظن وما تَهوى الأَنْفُس ولَقَد جاءهم مِن ربهِم الْهدى} النجم، الآية 23.

3.الاستقامة على شرع الله عز وجل

إن الاستقامة على شرع الله عز وجل هي الضمان الأقوى لحفظ النوع البشري من الاستسلام لقيود الهوى ولذّات النفس، ذلكم أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم ما يصلح هذه النفس وما يفسدها، فهو الأعلم بمن خلق، وإن الإنسان حين يقع في الزلل بحجة الاستجابة لنزعات النفس ينسى أن الله سبحانه وتعالى قد جعل نظاماً خاصاً لهذه الغرائز واللذات البشرية بحيث لا تكبت ولا تقمع، ولكن يتعامل معها وفق هذا النظام الذي شرعه الخالق لعباده وهو يعلم سبحانه وتعالى حين شرع ما شرع أن هذه اللذات الحسية إذا أُطلق لها العنان أصبحت إلهاً مشرعاً من دونه سبحانه وتعالى، فأمر الله سبحانه وتعالى بضبط أهواء النفوس والاستقامة على شرع الله الذي يتعامل مع الإنسان بكل ما فيه من نزعاتٍ ونفحات، وإن الخروج عن شرعه سبحانه وتعالى هو الذي يوقع الإنسان في ضنك العيش والوقوع أسيراً أمام أهوائه، لأن هوى النفس يجعل الإمبراطور في صولجانه عبداً ضعيفاً أمام شهوةٍ عابرةٍ أو نزوةٍ مستعرة، ويجعل العالِم الفقيه صريعاً لهواه فيما يقول أو يفعل. ومن هنا تبرز أهمية الاستقامة المطلقة على دين الله تعالى للوصول بالإنسان إلى حالةٍ تمكنه من القيام بالأعباء الجسيمة التي وكِل بها على الأرض. لقد خاطب الله تعالى نبيه محمداً- صلى الله عليه وسلم- ووجه إليه الأمر أن يدعو وأن يستقيم على دعوته ولا يلتفت إلى الأهواء الأرضية المختلفة التي تصرف عن طريق الدعوة المستقيم، فقال له: {فَلِذَلِك فَادع واستَقِم كَما أُمِرتَ ولا تَتبِع أَهواءهم وقُلْ آمنْتُ بِما أَنْزلَ الله مِن كِتَابٍ وأُمِرتُ لأَعدِلَ بينَكُم الله ربنَا وربكُم لَنَا أَعمالُنَا ولَكُم أَعمالُكُم لا حجةَ بينَنَا وبينَكُم الله يجمع بينَنَا وإِلَيهِ الْمصِير} الشورى، الآية 15.

وقد عرض القرآن بمن يدعي المساواة بين من استقام على شرع الله ومن اتبع هواه بقوله سبحانه:{أَفَمن كَان علَى بينَةٍ من ربهِ كَمن زين لَه سوء عملِهِ واتبعوا أَهواءهم} (سورة محمد، الآية 14). يقول الآلوسي: "تقرير لتباين حال الفريقين: المؤمنين والكافرين، وكون الأولين في أعلى عليين والآخرين في أسفل سافلين، وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال، والهمزة لإنكار استوائهما أو لإنكار كون الأمر ليس كما ذُكر. والمعنى: أيستوي الفريقان أوليس الأمر كما ذكر

فمن كان ثابتاً على حجةٍ ظاهرةٍ وبرهانٍ نير من مالك أمره وأمر نبيه وهو القرآن العظيم وسائر المعجزات والحجج العقلية كمن زين له الشيطان عمله السيء من الشرك وسائر المعاصي، واتبعوا في ذلك العمل السيء أهواءهم الزائفة من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلاً عن حجة تدل عليها"(45).

ثانياً: منهج القرآن الكريم في العلاج الجزائي لاتباع الهوى:

من سنن الله تعالى في الكون أن الإنسان يجب أن ينال جزاء عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، لأن ذلك من مقتضيات عدل الله تعالى. والناظر في دين الله عز وجل يجد أن هذا الجزاء قد يكون دنيوياً –حسياً أو معنوياً- وقد يكون أخروياً. لكن لا بد من التأكيد هنا أن هذا الجزاء الذي أعده الله تعالى لأولئك الذين يتبعون أهواءهم الزائفة نلحظ فيه ما يلي:

1.أن الله سبحانه وتعالى أعد هذه العقوبات لهم إن لم يتوبوا عن اتباع أهوائهم، لأن التوبة كما هو معلوم من الدين بالضرورة تجب ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، إن تحققت فيها شرائطها المعروفة.

2.أن ذكر هذا الجزاء الدنيوي والأخروي هو وسيلة وقائية أيضاً تمنع من الوقوع في الأهواء الزائفة، فإن من شأن أسلوبي الترغيب والترهيب أن يؤثرا سلباً أو إيجاباً في أفعال الناس وتصرفاتهم.

3أن الحديث عن جزاء متبعي الأهواء يشمل الحديث عن جزاء كل أصحاب الذنوب والمعاصي، لأن الهوى –كما تقدم- سبب رئيس فيها كلها. ومن هذه الطرق الجزائية –الدنيوية والأخروية- التي ذكرها القرآن لمتبعي الأهواء على وجه الخصوص:

أ.انقطاع الولاية والنصرة من الله

يقول تعالى مخاطباً النبي- صلى الله عليه وسلم-: {ولَن تَرضى عنْك الْيهود ولا النصارى حتى تَتبِع مِلتَهم قُلْ إِن هدى اللهِ هو الْهدى ولَئِن اتبعتَ أَهواءهم بعد الَّذِي جاءك مِن الْعِلْمِ ما لَك مِن اللهِ مِن ولِي ولا نَصِيرٍ} البقرة، الآية 120. والآية صريحة في تقرير عداوة اليهود والنصارى الدائمة للمسلمين، وتقرر بوضوح أن الملّة الحق هي دين الله وهداه، وتنهى عن اتباع أهواء اليهود والنصارى بعد هذا الهدى الإلهي، ثم كانت الفاصلة في جزاء من يتبع أهواءهم (ما لَك مِن اللّهِ مِن ولِي ولاَ نَصِيرٍ). يقول ابن عاشور: "تحذير لكل من تلقى الإسلام أن لا يتبع بعد الإسلام أهواء الأمم الأخرى، جاء على طريقة تحذير النبي صلى الله عليه وسلم وهو جواب القسم (ولَئِن اتبعتَ) ودليل جواب الشرط، وجيء بإن الشرطية التي تأتي في مواضع عدم القطع بوقوع شرطها لأن هذا فرض ضعيف في شأن النبي- صلى الله عليه وسلم - والمسلمين. والتفسير: كل من يعين أحداً على أمر يريد به خيراً وكلاهما (ولي، نصير) فعيل بمعنى فاعل. وعطف النصير على الولي احتراس لأن نفي الولي لا يقتضي نفي كل نصر إذ لا يكون لأحدٍ ولي لكونه دخيلاً في قبيله ويكون أنصاره من جيرته، وكان القصد من نفي الولاية التعريض بهم في اعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، فنفى ذلك حيث لم يتبعوا دعوة الإسلام ثم نفى الأعم منه، وهذه نكتة عدم الإقصار على نفي الأعم"(46).

وفي موضع آخر يقول تعالى: {وكَذَلِك أَنزلْنَاه حكْماً عربِياً ولَئِن اتبعتَ أَهواءهم بعدما جاءك مِن الْعِلْمِ ما لَك مِن اللهِ مِن ولِي ولا واقٍ} الرعد، الآية 37. يقول الزمخشري عن هذه الآية: "كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمور يوافقهم عليها: منها أن يصلي إلى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها، فقيل له: لئن تابعتهم على دين ما هو إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة، خذلك الله فلا ينصرك ناصر، وأهلكك فلا يقيك منه واق، وهذا من باب الإلهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه، وأن لا يزلّ زالٌ عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة، وإلا فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم -من شدة الشكيمة بمكان"(47).

وصرح سبحانه وتعالى أيضاً بانقطاع نصرة الظالمين المتبعين لأهوائهم في قوله: {بلْ اتبع الَّذِين ظَلَموا أَهواءهم بِغَيرِ عِلْمٍ فَمن يهدِي من أَضل الله وما لَهم مِن نَاصِرِين} الروم، الآية 29.

ب.الختم والطبع على القلوب

وهي عقوباتٌ إلهية قررها القرآن الكريم على أولئك المتبعين لأهوائهم. وقد جاءت في القرآن الكريم جزاءاً للكافرين والمنافقين والظالمين، وهذا التعبير بالختم والطبع إنّما هو لطول انصراف قلوبهم عن الحق حتى أصبحوا في

حالةٍ وكأنّهم قد خُتم على قلوبهم ونُقش عليها أنهم لا يهتدون. فمثلاً في سورة الجاثية نقرأ قوله تعالى: {أَفَرَأَيتَ من اتخَذَ إِلَهه هواه وأَضله الله علَى عِلْمٍ وخَتَم علَى سمعِهِ وقَلْبِهِ وجعلَ علَى بصرِهِ غِشَاوةً فَمن يهدِيهِ مِن بعدِ اللهِ أَفَلا تَذَكرون} الجاثية، الآية 23. وهي صورةٌ حيةٌ لهذه الفئة التي تحكمت فيها الأهواء حتى كأنّها الإله الذي يعبد، فصارت أسماعهم وقلوبهم كأنها مختوم عليها في عدم نفوذ النصائح إليها، فلا ينتفعون بشيءٍ أبداً، وفي هذه الآية تحذير للمؤمنين من اتباع الهوى لأنه يؤدي بصاحبه إلى نتائج وخيمةٍ جداً.

وفي موضعٍ آخر نجد هذا الربط بين الطبع على القلوب واتباع الهوى في قوله تعالى: {ومِنْهم من يستَمِع إِلَيك حتى إِذَا خَرجوا مِن عِنْدِك قَالُوا لِلذِين أُوتُوا الْعِلْم ماذَا قَالَ آنِفاً أُولَئِك الذِين طَبع الله علَى قُلُوبِهِم واتبعوا أَهواءهم} محمد، الآية 16. فهذه الآية تصور حال نفرٍ من أولئك الذين يتظاهرون بالإسلام ويستمعون للقرآن وإذا خرجوا من عند النبي- صلى الله عليه وسلم- استهزؤا وسخروا ثم نعتهم بأن الله قد طبع على قلوبهم. يقول ابن عاشور: "والطبع على القلب: تمثيل لعدم مخالطة الهدى والرشد لعقولهم بحال الكتاب المطبوع عليه، أو الإناء المختوم بحيث لا يصل إليه من يحاول الوصول إلى داخله، فمعناه أن الله خلق قلوبهم: أي عقولهم غير مدركة ومصدقة للحقائق والهدى، وهذا الطبع متفاوت يزول بعضه عن بعض أهله في مدةٍ متفاوتة ويدوم مع البعض إلى الموت كما وقع"(48).

ج. الغلظة عليهم والتوبيخ بضرب الأمثال

لقد ضرب القرآن الكريم الأمثلة البليغة بأولئك الذين سقطوا نتيجة اتباعهم لأهوائهم وذلك من أجل أن تهز هذه الأمثلة وجدانهم وتقرع أسماعهم لأنها تشبيه فظيع لحالهم تقشعر منه الجلود والقلوب وتنفر من هذه الصور، وعلى الجانب الآخر فإن من شأن هذه الأمثلة والمشاهد أن ترفع من إيمان المتبعين للهدى المستقيمين على الطريق فلا يعودون يعبأون بأصحاب الأهواء، وقد فظّع القرآن من حالهم وكشف خباياهم وهتك أسرارهم. ومن هذه الصور المريعة –التي تقدم الحديث عنها- صورة الذي ينسلخ من آيات الله ويتبع هواه بصورة الكلب اللاهث حمل عليه أو لم يحمل. وكذلك نجد وصف حالهم بأبشع صورة يتخيلها العقل البشري وهي صورة الهوى وقد أصبح إلهاً يعبد من دون الله –في الموضعين اللذين سبق الحديث عنهما- وهي صورةٌ حيةٌ لأجسادٍ خاويةٍ من كل خيرٍ تضربها ريح الشيطان وأعاصيره حتى باتت أهواؤها ورغباتها هي التي تعبد، وفي هذا ما فيه من تقبيح للهوى المذموم وحثٍ على مجابهته ومنابذته حتى لا يعود قادراً على المضي بحيث يصبح هو الآمر الناهي لصاحبه يزين له سوء عمله ويصده عن السبيل، ويختم على سمعه وقلبه وبصره.

د. الجزاء الأخروي في جهنم

والآيات في هذا المجال كثيرة جداً سواء أذكرت جهنم جزاء لمن اتبع هواه صراحةً أم تضميناً من خلال ذكر عذاب جهنم جزاء للظالمين والكافرين والفاسقين والعصاة ممن اتبعوا أهواءهم ثم سقطوا في جهنم –والعياذ بالله- نجد هذا التصريح مثلاً في قوله تعالى: {يا داوود إِنا جعلْنَاك خَلِيفَةً فِي الأَرضِ فَاحكُم بين الناسِ بِالْحق ولا تَتبِعِ الْهوى فَيضِلَّك عن سبِيلِ اللهِ إِن الذِين يضِلُّون عن سبِيلِ اللهِ لَهم عذَاب شَدِيد بِما نَسوا يوم الْحِسابِ} ص، الآية 26.

فاتباع الهوى سبب في الضلال، والضلال يستلزم نسيان يوم الحساب الذي يؤدي بدوره إلى العذاب الشديد. ويفهم هذا الجزاء الأخروي أيضاً من قوله تعالى: {فَأَما من طَغَى (37) وآثَر الْحياةَ الدنْيا (38) فَإِن الْجحِيم هِي الْمأْوى (39) وأَما من خَافَ مقَام ربهِ ونَهى النفْس عن الْهوى (40) فَإِن الْجنةَ هِي الْمأْوى} النازعات، الآيات 37-41.

الخاتمـة

وبعد هذا التطواف في الآيات التي تنهى عن اتباع الهوى في القرآن الكريم، وتلمس أسرارها، واستنطاق سياقاتها وعباراتها، تبين لنا أن للقرآن الكريم منهجاً واضحا في النهي عن اتباع الهوى يتمثل في ذكره للأسباب الدافعة والمعينة على ظهوره، لأن تحديد السبب يعين على علاج المسبب، وكذلك من خلال ذكر القرآن الكريم لبعض مظاهر اتباع الهوى الشّنيعة على سبيل التمثيل لا الحصر، ثم من خلال ذكر الآثار والأضرار المترتبة على اتباع الهوى، والتي ينبثق عنها سلسلة من الأضرار والآثار الفرعية، ثم تتجلّى معالم هذا المنهج من خلال ذكر القرآن الكريم للأساليب الوقائية والعلاجية لهذا المرض الفتّاك إذ إن الوقاية خير من العلاج.

وبهذا يتضح أن المنهج القرآني في معالجة هذا الموضوع هو منهج شاملٌ يتلاءم مع أهمية هذا الموضوع ودوره في نهوض الأمم أو تقويض الحضارات واضمحلالها، لاسيما أن الأمة عاشت –ولا زالت- آثاره وأضراره المتنوعة عبر تاريخها الطويل.

الهوامش

(1) الماوردي، أدب الدنيا والدين. ط1، ص17.
(2) انظر: ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص358.
(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. ط1، 15/6-16.
(4) انظر: ابن منظور، لسان العرب. فصل الهاء، باب الياء، 370/15-373.
(5) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن. ط1، ص524.
(6) ابن الجوزي، ذم الهوى. ط1، ص12.
(7) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ. ط1، 309/4.
(8) انظر: البخاري، صحيح البخاري. وبهامشه فتح الباري لابن حجر. كتاب التفسير، باب: ترجي إليك من تشاء، حديث رقم(4788). وكتاب النكاح، حديث رقم (5113). وانظر: مسلم، صحيح مسلم. كتاب الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها، حديث رقم(1464).
(9) وردت لفظة (الهوى) بالمعنى الاصطلاحي في السور التالية- (19 سورة)-: البقرة: (الآيات: 87، 120، 145)، النساء: (135)، المائدة: (48، 49، 70، 77)، الأنعام: (56، 71، 115، 150)، الأعراف: (176)، الرعد: (37)، الكهف: (28)، طه: (16)، الفرقان: (43)، المؤمنون: (71)، القصص: (50/ موضعان)، الروم: (29)، ص: (26)، الشورى: (15)، الجاثية: (18، 23)، محمد: (14، 16)، القمر: (3)، النجم: (3، 23)، النازعات: (40).
(10) هذه المواضع هي: البقرة: 87، المائدة: 70، الأنعام: 71، والنجم: 23.
(11) المفردات، ص 79.
(12) الزمخشري، الكشاف، ط2، 209/1.
(13) ابن تيمية، الحسنة والسيئة، ص58.
(14) رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، 406/9.
(15) أبو السعود، تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ط1.
(16) قطب، في ظلال القرآن. 187/4، ط1، 3229/5.
(17) مسلم، الصحيح. كتاب القدر، باب: قُدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، حديث رقم(2657).
(18) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 97/4.
(19) أبو السعود، 207/2.
(20) الرازي، 183/26، بتصرف.
(21) المنار، 258/7.
(22) السمين الحلبي، الدر المصور في علوم الكتاب المكنون. ط2، 658/4.
(23) المفردات، ص106.
(24) الظلال، 1132/2.
(25) المصدر السابق، 1398/3-1399 بتصرف.
(26) المنار، 407/9-408.
(27) الظلال، 1398/3.
(28) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، 46/15-47.
(29) انظر: المفردات، ص223.
(30) الرازي، 183/26.
(31) التحرير والتنوير، 244/23.
(32) الراغب، المفردات، ص237.
(33) أبو السعود، 216/1.
(34) جامع البيان، 5946/7، انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط2.
(35) التحرير والتنوير، 92/18.
(36) جامع البيان، 7380 بتصرف.
(37) الكشاف، 294/4.
(38) المفردات، ص284.
(39) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ط1، ص1189.
(40) الراشد، العوائق، ط3، ص61.
(41) انظر: ذم الهوى، ص 14-15.
(42) الظلال، 776/2.
(43) الرازي، 52/31.
(44) المنار، 19/2.
(45) روح المعاني، 72/14 بتصرف.
(46) التحرير والتنوير، 695/1.
(47) الكشاف، 502/2.
(48) التحرير والتنوير، 101/26.

المصادر والمراجع

الآلوسي، شهاب الدين محمود البغدادي (1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. قرأه وصححه: محمد حسين العرب، 1994م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 223/4.

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري. وبهامشه فتح الباري لابن حجر. دار الفكر، بدون طبعة وتاريخ، كتاب التفسير، باب: ترجي إليك من تشاء، حديث رقم(4788). وكتاب النكاح، حديث رقم(5113). وانظر: مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، كتاب الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها، حديث رقم(1464).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم(728هـ)، الحسنة والسيئة. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون طبعة وتاريخ، ص58.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(97هـ)، صيد الخاطر. حققه وضبطه وعلّق عليه: آدم أبو سنينة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن بدون طبعة وتاريخ، ص358.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ذم الهوى. تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: أحمد الغزالي، 1962م، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط1، ص12.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف(754هـ)، البحر المحيط. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2005، 97/4.

الرازي، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين(606هـ)، التفسير الكبيرأو مفاتيح الغيب.حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون طبعة وتاريخ، 15/46-47.

الراشد، محمد أحمد، 1981م، العوائق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، ص61.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل(403هـ)، مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، 2006م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ص524.

رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار الفكر للطباعة والنشر، دون طبعة وتاريخ، 406/9.

الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 2001م، 209/1.

أبو السعود، محمد بن أحمد بن مصطفى العمادي، تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، 1999م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، 2003م، دار القلم، دمشق، ط2، 658/4.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ. حققه: د. محمد التونجي، 1993م، عالم الكتب، بيروت، ط1، 309/4.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: أحمد عبد الرازق البكري، ومجموعة من العلماء، 2007، دار السلام للطباعة والنشر، ط2، 5946/7.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، بدون طبعة وتاريخ، 244/23.

ابن عطية الأندلسي، محمد عبد الحق (541هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص1189.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا(395هـ)، معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون، 1991م، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 15/6-16.

قطب، سيد، 1982، في ظلال القرآن. دار الشروق، بيروت، 187/4. والقاهرة، ط1، 3229/5.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري(450هـ)، أدب الدنيا والدين. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ - 1985م. ص17.

مسلم، الصحيح. كتاب القدر، باب: قُدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، حديث رقم(2657).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب. دار صادر، بيروت، فصل الهاء، باب الياء، 370/15-373.

Quranic Methodology in Dealing with Impure Evil Desires

Jehad M. Al-Nusairat*

ABSTRACT

The Quran forbids following one's impure evil desires in numerous verses. This forbidding comes in accordance with divine methodology which is worthy of a thorough reading and analyzing.

This study is an endeavor to unveil some of the aspects of the Quranic methodology in dealing with impure evil desires. It came in various sections of which deals with one of the aspect of the Quranic method. It aimed also to explore and demonstrate the influence of this method in, spiritually, treating the hearts and purifying the minds and therefore stabilizing the societies.

Keywords: Quran, One's Impure Evil Desires.

---

* Faculty of Shari'a, University of Jordan. Received on 23/10/2007 and Accepted for Publication on 17/11/2008.